المركز الجامعي بالوادي
قسم التاريخ
المحاضرة : رقم 02

السنة الثانية 2022/2021
مقياس المغرب الإسلامي
الدكتور سليم حاج سعد

الفتح الإسلامي لبلاد المغرب والأندلس

أولا : الفتح الإسلامي للعدوة المغربية :

. المغرب قبل الفتح الإسلامي :

تعاقبت على بلاد المغرب العديد من الدول والشعوب بداية من التواجد الفينيقي والروماني والوندالي والبيزنطي ، حيث حاولت كل سلطة أن تفرض وجودها وثقافتها .

ـ فقد كانت بداية الغزو الفينيقي حوالي سنة 814 ق م بشكل اقتصادي بالدرجة الأولى لكون الفينيقيين أمة تجارية ، فأسسوا مدنا تجارية على سواحل البحر المتوسط ومراكز للتموين وإصلاح السفن ومن بين المدن نذكر بزرت وقرطاج وسوسة وبجاية وعنابة وجيجل وطنجة ومليلة وأغادير .

. أما بالنسبة للغزو الروماني فكان على خلاف الغزو الفينيقي ، فهم الذين اشتهروا بالقدرة على الحروب والتنظيم السياسي ، وبذلك كانت توسعاتهم في بلاد المغرب للسيطرة والاحتلال والإستيلاء على ثروات الشعوب ، وكانت بداية هذا الغزو سنة 146 ق م بإحتلالهم لقرطاج ، فتميزت سياستهم بالتعسف وفرض الضرائب الباهظة كما أجبروا السكان على الإنخراط في الجيش الروماني واستولوا على الأراضي الزراعية ، ونتيجة لذلك قامت العديد من الثورات كرد فعل على الأوضاع السيئة للسكان ، وكان من السهل على الرومان إخمادها لعدم وحدة القبائل .

ـ أما الإستعمار الوندالي فكان بعد سقوط العاصمة روما في يدهم ، حيث لم يكونوا أهل حضارة وإنما قبائل همجية، وقد حافظوا على الأنظمة الرومانية التي كانت سائدة، من ناحية التنظيم السياسي والعادات والتقاليد.

. أما الإستعمار البيزنطي لبلاد المغرب فقد جاء مخالفا لسابقيه، حيث عين الحكام المدنيين على المقاطعات الإفريقية، إلا أن الأمر سرعان ما تغير بحكام عسكريين نتيجة لقيام الثورات فغيروا بعسكريين سنة 578 م، وقد تعرض الإستعمار البيزنطي لبلاد المغرب للعديد من المشاكل والصعوبات في أخر عهده نتيجة للحروب والصراعات الدينية وتمرد الجنود وضعف سلطة الدولة، كل هذه العوامل سهلت للقادة المسلمين نسبيا فتح المغرب والتخلص من البيزنطيين بعد احتلال دام 112 سنة.

وقد واجهت الفاتحين العديد من الصعوبات التي أخرت عملية الفتح التي دامت زهاء السبعون سنة ، وأهمها:

. بعد المنطقة عن مركز الخلافة الأموية بدمشق من جهة ، وعن ولاية مصر من جهة أخرى .

. صعوبة المنطقة جغرافيا حيث كان هذا العنصر من أهم الصعوبات .

. اتساع رقعة المنطقة جغرافيا، حيث أن إقرار الأمن فيها يتطلب عددا أكبر من الجنود.

ـ عدم استقرارهم بالمنطقة حيث ينشرون الإسلام ثم يعودون من حيث أتوا، فينقض البربر ما تعهدوا به.

. مقاومة البربر، حيث كانوا يظنون أن المسلمين لا يختلفون عن غيرهم من الأجانب الذين توالوا عن المنطقة.

. اختلاف لغة البربر وصعوبتها بالنسبة للفاتحين، وهذا ما يصعب عملية التواصل بينهم .

ـ تغير الطبيعة الجغرافية والمناخية لمنطقة المغرب عما عهده المسلمون في فتوحاتهم السابقة .

. مقاومة البيزنطيين والدفاع عن نفوذهم والتحالف مع البربر في أحيان كثيرة.

. المشاكل والفتن التي حدثت بين المسلمين فيما يتعلق بقضية الخلافة بعد استشهاد عثمان بن عفان، وما ترتب عن ذلك كالخلاف بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما.

. بعض الخلافات التي كانت بين القادة الفاتحين وعدم إكمالهم لمشاريع بعضهم .

. مراحل الفتح الإسلامي لبلاد المغرب :

أ . المرحلة الاستكشافية (الاستطلاعية) : وتندرج ضمن هذه المرحلة الحملات الآتية:

1 . حملة عمرو ابن العاص 23 هـ 614 م : بدأت الفتوحات للمغرب بعد فتح مصر مباشرة بقيادة عمر ابن العاص والي مصر وفاتحها، إذ قام هذا القائد بفتح برقة وطرابلس سنة 23 هـ لتامين حدود مصر الغربية من خطر البيزنطيين الذين كانوا يحكمون المغرب، حيث خشي من محاولة البيزنطيين استعادة مصر وتشير الروايات العربية إلى أن عمرو ابن العاص أراد التوغل فيما وراء طرابلس بعد فتحه لها حيث استأذن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذلك فرفض .

2- حملة عبد الله بن سعد بن ابي السرح 27 هـ 647 م : بعد وفاة عمر بن الخطاب سنة 24 هـ جاء الخليفة عثمان ابن عفان رضي الله عنه، الذي قرر استئناف فتح بلاد المغرب، فأرسل سنة 27 للهجرة أخاه من الرضاعة عبد الله بن سعد والي مصر، على رأس حملة قوية اجتاز بها طرابلس إلى أفريقية ـ تونس ـ فالتقى بجيوش البيزنطيين بقيادة جرجير في موقعة سبيطلة سنة 27 هـ.

انتصر المسلمون في هذه الموقعة وقتل جرجير على يد عبد الله ابن الزبير، على أن عبد الله بن سعد اضطر للعودة لمواجهة مشاكل في مصر فعقد معاهدة مع البيزنطيين يدفعون من خلالها جزية سنوية للمسلمين.

3- حملة معاوية ابن حديج 45 هـ 666 م : بتولي معاوية ابن أبي سفيان الخلافة قرر إعادة فتح إفريقيا وعهد بذلك الأمر إلى معاوية بابن حديج الكندي. تقدم هذا الأخير بجيوشه واتخذ من القيروان معسكرا ثابتا، ومنه وجه السرايا إلى المراكز البيزنطية، ومن بين هذه السرايا سرية قادها عبد الله بن الزبير إلى المدن الساحلية، فاستولى على قابس وبنزرت وسوسة، ومن مينائها أنزل الأسطول البيزنطي جيشا بقيادة البطريق نكفور لمهاجمة المعسكر العربي، فهاجمهم عبد الله ابن الزبير وتراجعوا إلى مراكبهم .وهناك سرية أخرى أرسلها ابن حديج بقيادة الأمير الأموي عبد الملك بن مروان إلى حصن جلولا وهو من أهم الحصون البيزنطية حيث حاصره واستولى عليه بعد قتال عنيف .إلى جانب الحملات البحرية التي قام بها ابن حديج للإغارة على جزيرة صقلية، غير أن هذا القائد لم يستمر طويلا حيث عزله الخليفة معاوية وولى مكانه القائد عقبة بن نافع.

ب - مرحلة الفتح الحقيقي : وتتمثل فيما يلي:

1- حملة عقبة بن نافع الأولى 50 هـ 670 م : استمرت خمس سنوات ، رأى عقبة في بداية ولايته أن يعمل على توطيد نفوذ المسلمين وذلك ببناء مدينة عربية تكون بمثابة قاعدة عسكرية ثابتة، وعلى هذا الأساس اختار مدينة القيروان لموقعها الاستراتيجي إذ هي بعيدة عن الساحل، ومن ثم تكون بعيدة عن غارات البيزنطيين وأيضا عن الصحراء والمناطق الداخلية ومن ثم تكون آمنة من غارات البربر، وبتأسيس هذه المدينة اتخذت العمليات العسكرية الإسلامية في المغرب طابعا ثابتا مستقرا، إلا أن الخليفة معاوية أمر بعزله سنة 55 هـ.

حملة أبو المهاجر دينار 55 هـ 678 م : ولى أبا المهاجر دينار مكان عقبة، فامتدت ولايته 07 سنوات أي إلى 62 هـ 682 م وفي عهده برزت عدة عناصر جديدة أهمها:

1- كره أبو المهاجر الإقامة في القيروان،لارتبطت بعقبة، فهجرها وحمل الناس على هجرها، لكنه لم يخربها.

2-قام ببناء مدينة تكروان جنوب القيروان بالتعاون مع السكان في البناء و الدفاع عنها.

3- كسب ولاء السكان المحليين وذلك بإتباع سياسة اللين، محاولا استمالتهم عن طريق نشر الإسلام بينهم .وقد نجحت هذه السياسة نجاحا كبيرا، فاعتنق الإسلام زعيم قبيلة أوربة وهكذا استطاع أبو المهاجر بفضل مؤازرة كسيلة أن يفتح المغرب الأوسط (الجزائر) والاستيلاء على مدنه الساحلية، فوصل حتى تلمسان.

3- حملة عقبة ابن نافع الثانية 62 هـ 682 : في سنة 60 هـ توفي الخليفة معاوية بن أبي سفيان، فخلفه ابنه يزيد الذي اقتنع بفضل عقبة وحسن بلائه في عملية الفتح، ولهذا أعاد عقبة إلى ولاية إفريقيا، والتي دامت سنتان 62 هـ 64 هـ 682 م 684 م .لم تكن لعقبة تلك النظرة السياسية الهادئة التي كانت لأبي المهاجر، بل كان رجلا شديدا متشبعا بالحماس فسخر من سياسة سلفه، كما قام بحملته الكبرى المشهورة التي فتح فيها المغرب من أدناه إلى أقصاه، حتى بلغ المحيط الأطلسي واقتحمه بفرسه قائلا " :اللهم اشهد أني قد بلغت المجهود ولولا هذا البحر، لمضيت في البلاد أقاتل من كفر بك حتى لا يعبد أحد سواك".

ويبدو أن أخبار مقلقة قد بلغت عقبة عن إفريقيا، فبعث بمعظم جنده إلى القيروان على عجل، ولم يبق معه إلا جزء صغير من جنده، وعند وصوله بلدة تهودة جنوب الأوراس، ظهر كسيلة في حشد كبير من البربر والبيزنطيين، وهو الذي استطاع الفرار من جيش عقبة وأخذ يترقب الفرصة المناسبة للانتقام منه، وأمام هذا الحشد الهائل من الروم والبربر، دارت

المعركة سنة 64 هـ فاستشهد عقبة، فتراجع المسلمون عن القيروان التي احتلها كسيلة 05 سنوات 64 هـ 69 هـ 684م 689 م، فكان استشهاده حدثا جللا أثر على عملية الفتح.

4 - حملة زهير ابن قيس البلوي 69 هـ 684 م :انطلق زهير من برقة بعد أن كلف برئاسة جيش من العرب والبربر إلى إفريقيا، فالتقى بكسيلة قرب القيروان بموقعة ممس، فدارت معركة انتصر فيها المسلمون وقتل كسيلة ومن نتائج هذه المعركة.

أ - عودت القيروان والمجموعات الإسلامية فيها وفي إفريقيا والمغرب الأوسط آمنة.

ب - تحطم مقاومة فرع البربر البرانس وأوربة وانتهى دورهم.

غادر زهير القيروان إلى برقة، لكنه وقع في كمين بيزنطي فاستشهد بمن معه. ولم يتمكن الأمويون آنذاك من التصدي لهذا الاعتداء، لانشغالهم بثورة ابن الزبير فركنوا إلى مهادنة البيزنطيين ومسالمتهم.

5 . حملة حسان بن نعمان 74 هـ 693 م 85 هـ 704 م : قرر الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان استئناف الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، فعين قائدا ماهرا من أهل الشام هو حسان بن النعمان، وأرسله على رأس جيش كبير وطلب من أخيه عبد العزيز بن مروان والي مصر أن يزوده بكل ما يحتاج إليه من عتاد ومال. وقد كان هذا القائد كفؤا لهذه المهمة، فقام بأعمال في المنطقة لهذا يعتبر في نظر المؤرخين:

1-الفاتح الحقيقي للمغرب.

2 . واضع أسس النظام السياسي والعسكري والثقافي والإداري في المنطقة.

لقد نجح حسان في جهوده ضد الروم ففتح قرطاجة سنة 74 هـ 693 م ، وبنى بجوارها مدينة تونس، لتخلفها في مجدها، وبنى دارا لصناعة السفن فيها، كما وضع نواة مسجد جديد هو المعروف بجامع الزيتونة، والذي سيصبح ثاني المساجد الكبرى في إفريقيا الإسلامية، بعد أن أخضع الكثير من نواحي إفريقيا، واصل سيره في اتجاه منطقة الأوراس، وهنا اصطدم بمقاومة عنيفة تقودها امرأة تدعى الكاهنة زعيمة قبيلة جراوة ، فانهزم المسلمون وتراجع حسان ومن معه إلى ما وراء طرابلس، وبقي هناك لمدة خمس سنوات.

أمر الخليفة عبد الملك بن مروان بإرسال المساعدات إلى حسان بن النعمان الذي استقر ببرقة .ولما استكمل هذا الأخير عدته أعاد الكرة نحو إفريقيا، وكانت الأوضاع قد تغيرت تغيرا كبيرا لصالح المسلمين، ذلك أن الكاهنة أمرت أتباعها بإحراق الغابات وإفساد المزارع وتخريب

القرى في المناطق الخاضعة لسلطتها ظنا منها أن ذلك من شأنه أن يثبط عزيمة المسلمين ويجعل حدا لرغبتهم في الاستيلاء على إفريقيا.

ولا شك أن سياسة تخريب الزراعة بعثت الرعب والهلع في نفوس الأهالي وجعلتهم ينظرون إلى المسلمين نظرة جديدة، ويرغبون في قدومهم لإنقاذ البلاد من الدمار. وهكذا كان استقبال أهالي إفريقيا لحسان وجنده يختلف تماما عن ذي قبل، فتوجه حسان إلى أتباع الكاهنة ففتحها وكانت الكاهنة قد ضعف شأنها وانفض الناس من حولها فألحق بها هزائم كبرى، وقتلت في جبال الأوراس أواخر سنة 81 هـ 700 م وبهذا انتهت المقاومة التي تعرقل الفتح الإسلامي لبلاد المغرب. واستقر حسان بعد ذلك بالقيروان فبذل جهودا كبرى لتنظيم شؤون البلاد وأقام الدواوين وضرب السكة وفرض الخراج على أهالي الذمة فانتظمت الأمور وانتشر الأمن وفي أواخر سنة 85 هـ 704 م عزل حسان فعاد على دمشق ونصب مكانه موسى بن نصير.

6 - حملة موسى بن نصير 86) هـ 95 هـ 705) (م 714 م : دعم موسى المكاسب القديمة في مناطق كانت هادئة ومفتوحة ، كما أِسل الحملة التي فتحت الأندلس.

نتائج الفتح الإسلامي في بلاد المغرب :أسفر الفتح الإسلامي لبلاد المغرب عن نتائج هامة:

1- زوال سلطة البيزنطيين من المنطقة وفقدهم قاعدة هامة في حوض البحر الأبيض المتوسط الغربي فأصبحت السيادة فيه للمسلمين.

2- انتشار الإسلام بين المغاربة، الذين أصبحوا من أكبر دعاته وقادة جيوشه، فهم الذين سيفتحون الأندلس وينشرون الإسلام في إفريقيا وجنوب أوروبا.

3- للفتح الإسلامي تأثير قوي في حياة السكان تمثل أساسا في انتشار الدين الإسلامي واللغة والثقافة العربية الإسلامية فصار للمغرب طابعه العربي الإسلامي المعروف به حتى اليوم.

4- لم تقتصر نتائج الفتح على إعطاء الطابع العربي الإسلامي لبلاد المغرب فحسب، بل تحولت هذه المنطقة إلى جسر تنتقل عبره التأثيرات الحضارية إلى أوربا وإفريقيا.

ثانيا : الفتح الإسلامي للعدوة الأندلسية :

بدأ الفتح الإسلامي للأندلس كما أمر الخليفة في دمشق بجس النبض عن طريق السرايا وأن لا يغرر بالمسلمين في بحر لا خبرة لهم به، فوقع الإختيار على رجل من البربر يدعى

طريف بن مالك فأمره موسى بن نصير بشن حملة على الساحل الجنوبي للأندلس، فعبر طريف المضيق على رأس فرقة من 400 من المشاة و 100فارس وذلك سنة 91هـ، ونزل في مكان يسّمى للآن طريفة، وقام بغارة على المناطق المجاورة له، واستولى على كثير من الغنائم ثم رجع إلى المغرب.

تأكد موسى بن نصير أخيرا بأنّ بلاد الأندلس ستكون سهلة المنال للمسلمين بعدما عرف ضعف الحكم القوطي، فبدأ يجهز جيشا كبيرا يقدر بحوالي 7000جندي ومعظمهم من البربر، وأوكل قيادة هذا الجيش لطارق بن زياد نائبه على طنجة.

حملة طارق بن زياد سنة 92هـ/711م:عبر طارق بن زياد المضيق إلى الأندلس في مراكب الكونت جوليان أو في مراكب تجار الروم التي كانت تأتي إلى بلاد المغرب والأندلس، فاستولى على الجبل-الذي حمل اسمه- دون مقاومة تذكر.

عسكر طارق في الجبل وأنشأ خلالها حصنا وقاعدة له كما بنى سورا أحاط جيوشه سماه سور العرب، ثم اتجه شمالا واستولى على بلدة صغيرة تسمى قرطاجنة ثم زحف غربا واستولى على الجزيرة الخضراء ، وجعل منها قاعدة حربية لحماية ظهره عند الانسحاب وأمر طارق جوليان ومن معه بأن يقوموا بحراسة هذه القاعدة والدفاع عنها في حالة قيام القوط بأي هجوم، ثم واصل طارق زحفه نحو الجنوب الغربي حيث عسكر عند سهل مدينة شذونة وأثناء ذلك كان الملك القوطي لذريق مشغولا بإخماد ثورة في شمال إسبانيا، فلما علم بالأمر أسرع بالعودة جنوبا إلى عاصمته طليطلة، فخرج منها على رأس جيش ضخم يقدر بمائة ألف وقيل سبعون ألفا لملاقاة المسلمين، وعندما علم طارق بأنباء تلك الحشود أرسل إلى موسى يطلب المدد، فأرسل إليه خمسة آلاف مقاتل فبلغ جيش طارق أثنى عشر ألفا.

زحفت جيوش لذريق جنوبا وعسكرت عند مدينة شذونة حيث التقى هناك بجيش المسلمين ، لمدة ثمانية أيّام (من 28رمضان إلى 5شوال سنة 92هـ/711م)، في موقعة وادي لكة التي انتهت بانتصار ساحق للمسلمين.

بعد ذلك زحف طارق إلى مدينة شذونة واستولى عليها ثم بدأ الزحف شمالا نحو طليطلة عاصمة القوط، وأثناء زحفه استولى على مدينة أستجة وهناك قسّم جيوشه، فبعث فرقة

إلى غرناطة واستولت عليها وفرقة أخرى إلى مالقة ، وفرقة ثالثة إلى قرطبة واستولى عليها بعد حصار استمر ثلاثة أشهر.

ا: حملة موسى بن نصير سنة93 هـ/712م: في رمضان سنة 93هـ /712م عبر موسى مضيق جبل طارق بجيش كبير بلغ 18000 مقاتل جلهم من العرب، ثم زحف غربا وسار في طريق مغاير للذي سلكه طارق، وتمكن من فتح مدن أخرى لم يفتحها طارق مثل قرمونة وإشبيلية وماردة، ثم بدأ يزحف شمالا لمقابلة طارق قرب طليطلة عاصمة القوط، وهنا علم أنّ نصارى إشبيلية قد فتكوا بالمسلمين هناك. واستولوا على المدينة فأرسل موسى ابنه عبد العزيز الذي تمكن من استرداد إشبيلية وإخماد ثورة أهلها، وبعدها كان لقاء الفاتحين.

زحف موسى ومعه طارق نحو الشمال الشرقي وفتحوا سرقسطة ووشقة ولاردة سنة94هـ، وتم تقسيم جيشه قسمين: أحدهما بقيادة طارق واتجه إلى شمال إسبانيا حيث بلاد البشكنس وتم فتحها، والآخر بقيادته هو واتجه نحو الشمال الغربي حيث منطقة جليقية وقام بفتحها أيضا .

وهنا وصله رسول من الخليفة الوليد يأمره بالرجوع فورا إلى دمشق فاضطر إلى الإذعان حيث التقى بطارق واصطحبه معه إلى دمشق بعد أن استخلف ابنه عبد العزيز بن موسى على ولاية الأندلس سنة 95هـ/714م.